﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأٓخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

[المدثر: 52 - 56]

❁ مُناسَبَةُ الآياتِ لِما قبلَها:

لا سببَ يدعو إلى إعراضِ المُشركين عن الحقِّ

لمّا كان الجوابُ قطعًا: لا شيء لهُم في إعراضهِم هذا؛ أضربَ عنه بقوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾، ولمّا كان ذلك تعنُّتًا، لا أنَّه على حقيقته؛ قال: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْأٓخِرَةَ﴾.

ثمَّ إنَّه لمّا كان فعلُهم هذا فعلَ مَن يعتقدُ في القرآن الكريم أنَّه ليسَ بوعظٍ صحيحٍ يستحقُّ أن يُتَّبع؛ قال رادعًا لهم عن هذا الاعتقاد: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾.

ولمّا كان القرآنُ في غاية السُّهولة والحلاوة لكلِّ مَن عرفَهُ بوجهٍ من الوجوه، وكان الله سبحانه قد خلقَ القوى والقدر، وجعلَ للعبد اختيارًا؛ قال مُسبِّبًا عن كونِه موضعًا للتَّذكُّر: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾.

وجوبُ الافتقار إلى الله في طلبِ التَّوفيق للحقِّ

ولمّا كان هذا ربَّما أوهَمَ أنَّ للعبدِ استقلالًا بالتَّصرُّف، قال مُعلِّمًا بأنَّ هذا إنَّما هو كناية عمّا له من السُّهولة والحلاوة والعذوبة الَّتي توجبُ عِشْقَه لكلِّ عاقلٍ، مُنبِّهًا على ترك الإعجاب، وإظهار الذُّلِّ والالتجاء إلى الله في طلبِ التوفيق للحقِّ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صُحُفًا﴾: (صحف) أصلٌ يدلُّ على انبساطٍ في شيء

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 78 - 80.

وسعة[1]، ومن ذلك: الصَّحيف، وهو وجهُ الأرض[2]، والصَّحيفة: وجه الإنسان[3]، والصَّحيفة: الَّتي يُكتب فيها[4]، والكتاب[5]، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى: 18 - 19][6]، والمصحف: ما جُعل جامعًا للصُّحف المكتوبة[7]. والمُراد بالصُّحف هنا: الكتب[8].

2) ﴿مُّنَشَّرَةً﴾: (نشر) أصلٌ يدلُّ على فتْحِ شيءٍ وتشعُّبِه[9]، ومن ذلك: بسطُ الثَّوبِ والصَّحيفةِ والسَّحابِ والنِّعمةِ والحديثِ، قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير: 10] أي: بُسِطَتْ، وقالَ: ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣﴾ [المرسلات: 3] أي: الملائكةِ التي تَنشُرُ الرّياحَ، أوِ الرّياحِ الَّتي تَنشُرُ السَّحابَ، وقالَ: ﴿وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾ [الفرقان: 47] أي: جعلَ فيهِ الانتشارَ وابتغاءَ الرِّزقِ، وانتشارُ النّاسِ: تصرُّفُهم وتفرُّقُهم في الحاجاتِ[10]، ويقال: تنشَّر الشَّيءُ وانتشر: انبسطَ، وانتشر النَّهارُ وغيرُه: طالَ وامتدَّ، وانتشر الخبرُ: أُذيعَ، وانتشرت الإبلُ والغنمُ: تفرَّقت عن غِرَّة من راعيها[11]، وإبلٌ نشرَى إذا انتشر فيها الجربُ[12]. والمراد بالمنشَّرة هنا: المفتوحة غير المطويَّة[13].

3) ﴿ٱلتَّقْوَىٰ﴾: (وقي) أصلٌ يدلُّ على دفعِ شيءٍ عن شيءٍ بغيرِه[14]، ومِنْ ذلكَ يقال: وقاهُ اللهُ وقْيًا ووِقايةً وواقيةً: صانَهُ وحَماهُ وحفظه[15]، قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ [الإنسان: 11][16]، وكلُّ ما وقى شيئًا فهو وِقاءٌ له ووِقايةٌ[17]، والتَّقوى: جعلُ النَّفسِ في

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صحف).
(2) ابن منظور، لسان العرب: (صحف).
(3) الراغب، المفردات: (صحف).
(4) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (صحف).
(5) الجوهري، الصحاح: (صحف).
(6) ابن منظور، لسان العرب: (صحف).
(7) الراغب، المفردات: (صحف).
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 90، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 400.
(9) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نشر).
(10) الراغب، المفردات، ومحمد جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (نشر).
(11) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (نشر).
(12) ابن منظور، لسان العرب: (نشر).
(13) ابن عطية، المحرر الوجيز، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 90.
(14) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وقي).
(15) الجوهري، الصحاح: (وقي).
(16) ابن منظور، لسان العرب: (وقي).
(17) الخليل، العين: (وقي).

وِقايةٍ ممّا يُخافُ، وصارت التَّقوى في عُرفِ الشَّرعِ حفظَ النَّفسِ عمّا يؤثمُ، وذلكَ بتركِ المحظورِ، ويتمُّ ذلكَ بتركِ بعضِ المباحاتِ[1]، وهو المرادُ هنا.

4) ﴿ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: (غفر) أصلٌ يدلُّ على السَّتْرِ[2]، ومن ذلك يقال: غَفَرَ المتاعَ في الوِعاء يغفره غفرًا: أدخلَهُ وسَترَه[3]، وغَفَرَ الشَّيبَ بالخِضاب: غَطّاه وأغفرَهُ، والمِغفَر: وِقاية للرأس، والغَفْرُ: السَّتْرُ والتَّغطيةُ[4]، والغُفْرانُ والمغفرةُ مِنَ اللّه تعالى: أنْ يَصونَ العبدَ مِنْ أنْ يمسَّهُ العذابُ[5]، والاستغفارُ: طلبُ سَتْرِ الذُّنوبِ ومَحْوِها[6]، والغَفورُ والغفّار: من صفاتِ اللّه تعالى، وهُما من أبنية المبالغة[7]؛ لأنَّهُ يسترُ الذُّنوبَ ويَمْحوها. وهو المراد هنا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إعراضُ المشركين عن التَّذكرة محضُ كِبْرٍ وعِنادٍ وتعنُّت

يقول تعالى شأنه: ليس إعراضُ المشركين عن القرآن لأنَّهم لا يعلمون أنَّه من عند اللّه، ولكنْ كلُّ رجلٍ منهم يريد أنْ يُؤتَى كتابًا مفتوحًا، ينزل عليه من السَّماء ويُخاطبه. وليس الأمرُ كما يزعمون من أنَّهم لو أوتوا صُحُفًا منشَّرةً صدَّقوا، لكنَّهم لا يخافون عقابَ اللّه، ولا يُصدِّقون بالبعث والثَّواب والعقاب؛ فذلك الَّذي دعاهُم إلى الإعراض عن تذكرة اللّه، وهوَّن عليهم تركَ الاستماع لوحيهِ وتنزيله. وليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنَّه سحرٌ يُؤثَرُ، وأنَّه قولُ البشر، ولكنَّه تذكرةٌ من اللّه لخَلقه، ذكَّرَهُم به، فمَن شاءَ انتفعَ بهذه التَّذكرة. وما يذكر أحدٌ إلّا بمشيئة

(1) الراغب، المفردات، والسّمين، عمدة الحفاظ: (وقي).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غفر).
(3) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (غفر).
(4) الخليل، العين: (غفر).
(5) الراغب، المفردات: (غفر).
(6) السمين، عمدة الحفاظ: (غفر).
(7) الزبيدي، تاج العروس: (غفر).

اللّه تعالى وتوفيقه؛ فهو الحقيقُ بأن يُخشى، وهو الحقيق بأن يَغفرَ لِمَن يشاءُ من عباده[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّةُ فصلِ الجملة المصدَّرة بـ ﴿بَلْ﴾:

صـــورُ عِـنـاد المشركين كثيرة

فُصل قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه إضرابٌ انتقاليٌّ لذِكر حالةٍ أخرى من أحوال عِنادهم؛ إذ قالوا للنَّبيِّ ﷺ: لا نؤمن لك حتَّى يأتيَ إلى كلِّ رجلٍ منّا كتابٌ فيه: منَ اللّه إلى فلان بن فلان، وهذا من أفانينِ تكذيبِهم بالقرآن أنَّه منزَّل من اللّه[2].

معنى ﴿بَلْ﴾ في الآية:

المـــشـــركـــون وضَـعـوا الـكُـفرَ والعِنادَ موضعَ الإيمانِ والطّاعة

﴿بَلْ﴾ في قوله ﷻ: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ للإضراب الانتقاليِّ، وفائدتُها التَّمهيدُ لذكرِ صورةٍ أخرى من صوَرِ عِنادِهم[3].

ويحتملُ أن تكونَ لعطف ما بعدَها على محذوفٍ يدلُّ عليه سياقُ الكلام، والتَّقدير: (لا يؤمنون، ولا يُطيعون بل يُريد كلُّ امرئٍ منهم ...)[4].

دلالةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ في ﴿يُرِيدُ﴾:

طلبُ المشركينَ صُحُفًا منشَّرةً عجيبٌ مستنكَر

جيءَ بصيغة المضارع في قول الحقِّ ﷻ: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾ لحكاية الحال الماضية[5]، وتصويرها وكأنَّها تقعُ الآن؛ ليتعجَّب منها السّامع ويستنكرَها؛ لِما فيها من فرْطِ الكِبْر والعناد.

ويحتمل أن تكون الصّيغة لإفادة الاستمرار[6]، وبيانِ أنَّ إيتاءَهم

(1) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 24/ 43 - 44.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.
(4) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 439.
(5) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 439.
(6) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 439.

صُحفًا منشَّرةً رغبةٌ مستمرَّة لهم، وفي ذلك إيماءٌ إلى أنَّ العِناد والتَّعنُّت لا يُفارقانهم.

نكتةُ دخولِ لفظِ العمومِ في ﴿كُلُّ ٱمۡرِيٕ﴾:

فـرطُ العِنـاد صفةٌ لكلِّ واحدٍ من المشركين

الإتيانُ بلفظ العموم ﴿كُلُّ﴾ في قوله ﷻ: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾؛ للتَّنبيه على أنَّ إيتاء الصُّحف المنشَّرةِ رغبةٌ مستمرَّة لكلِّ واحدٍ من هؤلاء المشركين؛ فهم لم يقتصروا على طلب صحيفةٍ واحدةٍ لهم جميعًا، بل يطلب كلُّ واحدٍ منهم صحفًا خاصَّة به، وخطابًا خاصًّا به؛ وذلك زيادةٌ في التَّعنُّت.

نكتةُ تنكيرِ ﴿ٱمۡرِيٕ﴾:

تنكيرُ ﴿ٱمۡرِيٕ﴾ في قوله جلَّ من قائل: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ للعموم؛ بدليل إضافته إلى لفظ العموم ﴿كُلُّ﴾.

بلاغةُ التَّعبيرِ بـ ﴿ٱمۡرِيٕ﴾:

كـمـالُ المُـروءة يستدعي تـركَ العِناد

عُبِّر بلفظ ﴿ٱمۡرِيٕ﴾ في قولِ الحقِّ تقدَّست أسماؤه: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾؛ لزيادة تهجين شأنهم وتقبيح حالهم، ببيانِ أنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء المُعرِضينَ يُريد أن يُؤتَى صُحُفًا مُنشَّرةً مع ادِّعائه الكمالَ في المروءة[1].

معنى (مِنْ) في ﴿مِّنۡهُمۡ﴾:

(مِنْ) في قوله ﷻ: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾ بيانيَّة، والمعنى: بل يُريد كلُّ واحدٍ من هؤلاء المُعرِضينَ[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعل ﴿يُؤۡتَىٰ﴾ مضارعًا مبنيًّا للمفعول:

إيتاؤهم صُحُفًا منشَّرة مستقبَلٌ بالنِّسبة لزمن طلبِهم

عُبِّر بفعل الإيتاء في قوله جلَّ ذكره: ﴿بَلۡ يُرِيدُ كُلُّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ أَن يُؤۡتَىٰ صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾؛ لأنَّ الإيتاءَ يُستعمَلُ للأمور العظيمةِ المادِّيَّةِ والمَعنويَّة؛ فهو أعَمُّ وأقوَى من الإعطاءِ الخاصِّ بعطاء الربوبيَّة، ولمَّا

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 78.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 78.

كان طلبُهم أنْ يؤتَوا صُحفًا منشَّرَةً أمرًا عظيمًا ماديًّا يُساويهم بمقام المرسلين عُبِّر بلفظ الإيتاء. وصَوغُه مضارعًا مُصَدَّرًا بـ ﴿أَن﴾؛ لأنَّ إيتاءَهُم صُحفًا منشَّرةً أمرٌ مستقبلٌ بالنِّسبة لزمنِ طلبِهم وإرادتهم.

مُرسِلُ النَّبيِّ الأمين هو مُؤتي البراهين

وجيء بالفعل على صيغة المبنيِّ للمفعول، بمعنى: من السَّماء؛ لأنَّ مرادهم معروف[1]؛ إذ المُؤتي هو الله ﷻ الَّذي أرسلَ إليهم النَّبيَّ ﷺ؛ ليدعوَهم إلى الإيمان والتَّوحيد، وهم كانوا يطلبون البراهينَ من الله ﷻ.

سِرُّ التَّعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن يُؤْتَىٰ﴾ دون الصَّريح:

الانشغالُ بالتَّفاصيل يُؤخِّر التَّحصيل

وفي التَّعبير بالمصدر المؤوَّل ﴿أَن يُؤْتَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ دون الصَّريح (إيتاء)؛ للدَّلالة على مجرَّد معنى حدثِ إيتاءِ الصُّحُف دون احتمال معنًى زائدٍ عليه من معاني الكلام المحتمَلة؛ كصِفة هذا الإيتاء وكيفيَّته، وهيئتِه؛ فالغايةُ إيتاءُ الصُّحُفِ على كلِّ فردٍ منهم حسب، دون الخَوضِ في تفصيلات هذا الإيتاء.

نكتةُ جمعِ ﴿صُحُفًا﴾ وتنكيرِه:

كثرةُ الصُّحف المطلوبة وتعدُّدها

تنكيرُ لفظ ﴿صُحُفًا﴾ وجمعُه في قوله ﷻ: ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾؛ للدَّلالة على كثرةِ الصُّحف المطلوبة وتعدُّدِها، أي: صحفًا كثيرةً جدًّا[2]، وذلك: إمّا لأنَّهم سألوا أن يكون كلُّ أمرٍ أو نهيٍ تأتي الواحدَ منهم في شأنه صحيفةٌ، وإمّا لأنَّهم لمّا سألوا أن تأتيَ كلَّ واحدٍ منهم صحيفةٌ باسمِه، وكانوا جماعةً متَّفقين؛ جُمِعَ لذلك، فكأنَّ الصُّحفَ جميعَها جاءت لكلِّ امرئٍ منهم[3].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 78.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 78.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.

بلاغةُ الوصفِ بـ ﴿مُّنَشَّرَةً﴾:

وصْفُ الصُّحف بكونها منشَّرةً في قوله ﷻ: ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾؛ للإيماءِ إلى فرْطِ عِنادهم وتكذيبِهم ومُجادلتهم في الباطل، فهم لم يرضَوا بإنزالِ الكُتُب فحسب، بل ضمّوا إلى ذلك أن تكون هذه الكتبُ مفتوحةً مقروءةً، والمعنى: لا نكتفي بصحيفةٍ مطويَّةٍ لا نعلمُ ما كُتب فيها[1].

اشتراطُ كَونِ الصُّحف مفتوحةً مقروءةً غيرَ مطويَّة

نكتةُ تضعيف ﴿مُّنَشَّرَةً﴾ وبنائها للمفعولِ:

﴿مُّنَشَّرَةً﴾ في قوله تعالى شأنُه: ﴿أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً﴾ مبالغةٌ في (منشورة)، والمبالغةُ واردةٌ على ما يقتضيه فعل (نشر) المجرَّد من كون الكتاب مفتوحًا واضحًا من الصُّحف المتعارفة[2]، وفي ذلك مزيدُ حرصٍ منهم على كونِ الصُّحف مفتوحةً مقروءةً، بحيث يَظهرُ ما فيها ظُهورًا بيِّنًا.

شدَّةُ حِرصِ المشركين على كَونِ الصُّحفِ مقروءةً مفتوحة

عِلَّةُ فصلِ ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾:

فُصل قولِه تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه كلامٌ مستأنفٌ لإفادة عرضٍ جديد، وهو إبطالُ ظاهرِ كلامِهم السّابق ومُرادِهم منه، وردعُهم عن ذلك[3].

معنى ﴿كَلَّا ۖ﴾ في ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾:

﴿كَلَّا ۖ﴾ في قوله جلَّ من قائل: ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ لردع المُعرِضينَ عن إرادة إيتائهم صُحفًا منشَّرة، وزَجرِهم عن اقتراح الآيات[4]، والمعنى: ليس الأمر كذلك[5]، ولا يكون ما طلبوه؛ لأنَّ طلبَهُم إنَّما هو محضُ تعنُّتٍ، وليس لهم غرضٌ في الاتِّباع بوجهٍ من الوُجوهِ؛ لا بهذا الشَّرطِ ولا بغيره[6].

ليس للمُعرضينَ غرضٌ في اتِّباع الحقِّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 656، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 717.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 400.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 78.

معنى ﴿بَل﴾ في ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾:

التَّنصُّلُ من اتِّباعِ الحقِّ والتَّعنُّتُ سببُ إعراضِ المشركين

﴿بَل﴾ في قول الباري ﷻ: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ لإبطال كلامهِم مرَّةً أخرى بحرف الإضراب الإبطاليِّ، والمعنى: ليس ما قالوهُ إلّا تنصُّلًا من اتِّباع الحقِّ، فلو أُنزل عليهم كتابٌ ما آمنوا[1]؛ لأنَّ السَّبب الحقيقيَّ لإعراضهِم هو جهلُهم بالآخرة وعدمُ إيمانهِم بها، وليس السَّببُ عدمَ إيتائهم الصُّحفَ؛ فإنَّه لمّا حصلت المعجزاتُ الكثيرة، كفَتْ في الدَّلالة على صحَّة النُّبوَّة؛ فطلبُ الزّيادة يكونُ من باب التَّعنُّت[2].

ويحتمل أن تكون ﴿بَل﴾ لعطف ما بعدَها على محذوفٍ يدلُّ عليه سياقُ الكلام، والتَّقدير: لم يرتدعوا عن ذلك بل لا يخافون الآخرة؛ لأنَّهم لا يؤمنون بها[3].

بلاغةُ الكنايةِ في ﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾:

المُشركونَ لا يخافون الآخرةَ لأنَّهم لا يُؤمنون بها

في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ كنايةٌ بديعةٌ، وذلك أنَّ معناه: لا يُؤمنون بها، فكُنِّيَ عن عدم الإيمان بالآخرة بعدم الخوف منها؛ لأنَّهم لو آمنوا بها لخافوها؛ إذ الشَّأنُ أن يُخافَ عذابُها؛ إذ كانت إحالتُهم الحياةَ الآخرة أصلًا لتكذيبهِم بالقرآن[4].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ في ﴿لَّا يَخَافُونَ﴾:

تجدُّدُ انتفاءِ الخوف دليلُ الإصرار على الجُحود

جيءَ بالمضارع المنفيِّ في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ عدمَ خوفهم مستمرٌّ متجدِّد، وهم مواظبون عليه؛ فهم لا يخافون الآخرة - أي: لا يؤمنون بها - في زمنٍ من الأزمان[5]. وفي ذلك إصرارٌ على الجُحود، والكِبْر.

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 657، وابن عطية، المحرر الوجيز: 5/ 400.
(3) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 440.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 331.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 78.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلۡأٓخِرَةَ﴾:

تعريفُ الآخرة في قوله ﷻ: ﴿لَّا يَخَافُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ للعهد؛ إذ المرادُ بها: الحياة الآخرة الَّتي هي ضدُّ الحياة الدُّنيا. والمُقامةُ للحساب والجزاء.

علَّةُ فصلِ ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٌ﴾:

لا يـــــوزَعُ المُـعـرِضـونَ إلّا بقوارعِ القرآن

فُصِلَ قولهُ ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٌ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه كلامٌ مستأنفٌ لإفادة غرَضٍ جديدٍ، وهو رَدعُ الكافرين عن إعراضِهم عن التَّذكرة ردعًا ثانيًا مؤكِّدًا للرَّدع الَّذي قبله، والمعنى: لا يُؤتَون صحفًا منشَّرةً، ولا يوزَعون إلّا بالقرآن[1] وما فيه من الزَّجر والوعيد.

سِرُّ تكرار ﴿كَلَّآ﴾:

القـرآنُ عِـظَـةٌ تستحقُّ الإقبالَ عليها

تكرار ﴿كَلَّآ﴾ في قول الباري ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٌ﴾ للتَّأكيد وزيادةِ الزَّجر والرَّدع[2]، أي: ليس الأمرُ قطعًا كما تزعمون من أنَّ هذا القرآن لا يستحقُّ الإقبال[3]، أو المعنى: حقًّا إنَّ القرآن عِظَةٌ[4]. ففيها إيماءٌ الى التَّعليل، وتوضيحٌ لسبب الرَّدع، وهو أنَّ القرآنَ الكريمَ تذكرةٌ وعِظةٌ لمَن أرادَ أن يتَّعظَ بها.

نكتةُ فصلِ ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٌ﴾:

القرآنُ موعظةٌ تُغني عن طلبِ الآيات

فُصِلَ قولُه ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٌ﴾؛ لأنهَّ كلام مستأنفٌ لتعليل الرَّدع عن سؤالهم أنْ تُنزَّل عليهم صُحُفٌ منشَّرة؛ ببيان أنَّ هذا القرآنَ تذكرةٌ، وأنَّه يُغني عن طلب الآيات، والمعجزات. وهذا كقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحۡمَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: 50 - 51][5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332.
(2) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 264.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 79.
(4) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 90.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332.

القرآنُ آيةٌ كافيةٌ بلا ريب

بلاغة التَّوكيدِ بـ ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾:

أُكِّدَ قولُه جلَّ ذكره: ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ بـ (إنَّ) واسميَّةِ الجُملة؛ للعناية بمَضمونِه ولَفْتِ أنظارِهم إليه، عسى أنْ تَعيَهُ قلوبُهم، وللرَّدِّ على إنكارِهم أن يكون القرآنُ آيةً كافيةً[1] لهم في وجوب الإيمان واتِّباعِ الحقِّ الَّذي جاءَهُم به النَّبيُّ ﷺ.

القرآنُ حجَّةُ الله على خَلقه وموعظتُه لهم

مرجعُ الهاءِ في ﴿إِنَّهُۥ﴾ وعِلَّةُ تذكيرِهِ:

الضَّميرُ في ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ للتَّذكرة المذكورة في قوله: ﴿فَمَا لَهُمۡ عَنِ ٱلتَّذۡكِرَةِ مُعۡرِضِينَ﴾، وإنَّما ذُكِّرَ الضَّميرُ مع أنَّ مرجعَهُ مؤنَّث؛ لأنَّ التَّذكرة في معنى الذِّكر أو القرآن[2]. ويحتمل أن يكون الضَّمير للقرآن وإن لم يتقدَّم له ذكرٌ؛ لأنَّه معلومٌ من المقام[3]. ومآلُ القولين واحد.

نكتةُ تنكيرِ ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾:

القرآنُ أعظمُ مذكِّرٍ وأشرفُ معرِّف

تنكيرُ ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ في قوله ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾ للتَّعظيم[4]، والمعنى: إنَّه تذكرةٌ بليغةٌ كافية[5]، لا يُقادَرُ قدرُ عظمَتها، وهي توجبُ إيجابًا عظيمًا اتِّباعَها وعدمَ الانفكاكِ عنها بوجهٍ، فليس لأحدٍ أنْ يقول: أنا معذور؛ لأنّي لم أجد مذكِّرًا ولا معرِّفًا؛ فإنَّ عنده أعظمَ مُذكِّرٍ وأشرفَ مُعرِّف[6].

الدَّعوة إلى التَّذكُّر من الرَّغائب

معنى الفاءِ في ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾:

الفاءُ في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ تفريعٌ على قوله: ﴿إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ﴾، ونظيرُه قولُه تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 79.
(2) الزمخشري، الكشاف: 4/ 657، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 717.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 717، والنسفي، مدارك التنزيل: 3/ 569.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 79.

رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ [المزمل: 19] وهذا تعريضٌ بالتَّرغيب في التَّذكُّر، أي: التَّذكُّر طوعُ مشيئتكم؛ فإنْ شئتُم فتذكَّروا[1].

معنى (مَنْ) في ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾:

الظّاهر أنَّ (مَنْ) في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ شرطيَّة، فتفيدُ الرَّبط بين المشيئة وبين التَّذكُّر، وأنَّ مَن عزمَ على التَّذكُّر وأيقنت به نفسُه حصلَ له ذلك بإذن الله.

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمشيئةِ:

لا عُـذر لِمَـن تركَ التَّذكُّر بالقرآن

ضمير ﴿شَآءَ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ راجعٌ إلى (مَنْ)، أي: مَن أرادَ أن يتذكَّر ذُكِّرَ بالقرآن، وهو مثلُ قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ﴾، وهو إنذارٌ للنّاس بأنَّ التَّذكُّر بالقرآن يحصلُ إذا شاؤوا التَّذكُّرَ به، والمَشيئةُ تستدعي التَّأمُّلَ فيما يُخلِّصُهُم من المؤاخَذة على التَّقصير، وهم لا عُذرَ لهم في إهمالِ ذلك[2].

نكتةُ حذفِ مفعولِ ﴿شَآءَ﴾:

مفعول ﴿شَآءَ﴾ في قوله سبحانه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ محذوفٌ يدلُّ عليه الجواب، والتَّقدير: فمَن شاءَ أنْ يَذكُرَهُ ولا يَنساهُ فعَلَ؛ فإنَّ ذلك عائدٌ إليه[3].

مرجعُ الهاءِ في ﴿ذَكَرَهُۥ﴾:

الضَّميرُ الظّاهر في قوله تعالى: ﴿ذَكَرَهُۥ﴾ يجوزُ أن يعودَ على ما عادَ إليه ضميرُ (إنَّهُ)، وهو القرآن، فيكون على الحذف والإيصال، وأصله: ذكرَ به.

ويجوزُ أن يعودَ على الله تعالى وإن لم يتقدَّم لاسمِهِ ذِكرٌ في هذه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332.
(3) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 264، والقونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 19/ 440.

الآيات؛ لأنَّه مُستحضَرٌ من المقام، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ١٩﴾ [المزمل: 19][1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالذِّكرِ:

عُبِّر بالتَّذكُّر في قوله ﷻ: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ لدلالته على الاتِّعاظ بالقُرآن[2]، وجعلِه نصبَ العين[3]، وثبوتِهِ في الصَّدر، ومعرفةِ معناه، والتَّخلُّقِ به، فليس أحدٌ يقدرُ أن يقول: إنَّه صعبُ التَّركيب، عظيمُ التَّعقيد، عَسِرُ الفهم، يحتاجُ في استخراج المعاني منه إلى علاجٍ كبيرٍ وممارسةٍ طويلة، فأنا معذورٌ في الوقوفِ عنه، بل هو كالبحرِ الفُرات؛ مَن شاء اغترفَ؛ لأنَّه خوطبَ به أُمَّةٌ أمّيَّة لا ممارسةَ لها لشيءٍ من العلوم، فسَهُلَ في لفظهِ ومعناهُ غايةَ السُّهولة، مع أنَّه لا يوصَلُ إلى قَرارِه، بل كلَّما زاد الإنسانُ فيه تأمُّلًا زادَهُ معانيَ[4].

القرآنُ ميسَّر للتَّدبُّر والاتِّعاظِ والفَهم

معنى الواوِ في ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ﴾:

جملة ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ معترضةٌ في آخِر الكلام؛ لإفادةِ تعلُّمِهم بهذه الحقيقة، والواو اعتراضيَّة. والمعنى: أنَّ تذكُّر مَن شاءَ أن يَتذكَّر لا يقعُ إلّا مشروطًا بمشيئةِ اللّه، وقد تكرَّرَ هذا في القرآن تكرُّرًا يُنبِّهُ على أنَّه حقيقةٌ واقعة، كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: 30]، وفي ذلك دليلٌ أنَّ للنّاس مشيئةً هي مَناطُ التَّكاليف الشَّرعية والجزاءِ في الدُّنيا والآخرة[5].

مشيئةُ النّاس هي مَناطُ التَّكاليف الشَّرعيَّة والجزاءِ في الدُّنيا والآخرة

بلاغةُ القصرِ بالنَّفي والاستثناء:

القصرُ بالنَّفي والاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَذۡكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ هو من قصر موصوفٍ على صفة، وهو قصرٌ إضافيٌّ،

أفعالُ العِباد بمشيئةِ الله

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332.
(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 90.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 717.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 79 - 80.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 332 - 333.

للتَّنصيص على أنَّهم لا يقدرون على الاتِّعاظ والتَّذكُّر إلّا بمشيئة الله ذلك لهم[1]، والاستثناءُ مُفرَّغٌ من أعمِّ العلل أو الأحوال، أي: وما يذكرون بعلَّةٍ من العلل، أو في حالٍ من الأحوال إلّا بأن يشاءَ الله تعالى، أو حالَ أن يشاءَ الله تعالى ذلك، وهو تصريحٌ بأنَّ أفعال العبادِ بمشيئة الله تعالى[2]. وفيه ترويحٌ لقلبه ﷺ ممّا كان يُخامِرهُ من إعراضِهم، ويَحرصُ عليه من إيمانهم[3].

توجيهُ القراءاتِ في ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾:

قرأ نافع: ﴿وَمَا تَذْكُرُونَ﴾ بالخطاب، وهو التفاتٌ من الغيبةِ إلى الخطاب، وقرأ الباقون: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالغيبة حملًا على ما تقدَّم من قوله: ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ﴾[4].

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفيِّ في ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾:

مَـن لـم يَلطُفِ اللـه بـه استمرَّ على غَفلته

جيءَ بصيغة المضارع المنفيِّ في قوله ﷻ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ لمعنى أنَّهم يغلبُ عليهم الاستمرارُ على عدمِ الذِّكرى بهذه التَّذكرةِ إلّا أنْ يشاءَ الله التَّوفيقَ لهم ويلطفَ بهم، فيخلق انقلابًا في سَجيَّة مَن يشاءُ توفيقَه واللُّطفَ به، وقد شاءَ الله ذلك فيمَن آمَنوا قبلَ نُزولِ هذه الآية ومَن آمَنوا بعدَ نزولها[5].

بلاغةُ إيثارِ لفظِ الجلالةِ:

المشيئةُ المُؤثِّـرة مشيئةُ العظيم

جيءَ بلفظ الجلالةِ في قولِ الباري ﷻ: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾؛ لدلالته على صفات العظمة والجلال، والمعنى: إلّا أن يشاءَ المَلِكُ الأعظمُ الَّذي لا أمرَ لأحدٍ معه[6]، فيكون ملائمًا لمقامِ بيانِ تفرُّده تعالى بمشيئةِ التَّذكُّرِ لعباده.

---

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 19/ 90.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 63، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 149.
(3) القاسمي، محاسن التأويل: 9/ 361.
(4) السمين، الدر المصون: 10/ 559.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 333.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 80.

علَّةُ الفصلِ:

التَّذكُّر يُفضي إلى تقوى الله

فُصِلَ قولُه ﷻ: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ عمّا قبله؛ لأنَّه استئنافٌ واقعٌ موقعَ التَّعليل لمضمونِ جملة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾؛ تقويةً للتَّعريض بالتَّرغيب في التَّذكُّر، والتَّذكُّرُ يُفضي إلى التَّقوى، فالمعنى: فعليكم بالتَّذكُّر، واتَّقوا الله تعالى؛ لأنَّه هو أهلٌ للتَّقوى[1].

لـولا حِـلْـمُ الله ما قدرَ عَبْدٌ على فِعلِ ما يُخالفُ رِضاهُ سبحانه

وأيضًا: لمّا ثبتَ أنَّه سبحانه الفعّال لِما يُريد، وأنَّه لا فعلَ لغيره بدونِ مشيئته، وكان من المعلوم أنَّ أكثرَ أفعالِ العباد ممّا لا يُرضيه، فلولا حِلْمُه ما قدروا على ذلك، وكان عفوُ القادر مستحسَنًا؛ بيَّن أنَّه أهلٌ للرَّهبة والرَّغبة[2].

بلاغةُ القصرِ بـ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾:

الله هو المستحقُّ لـلـتَّـقـوى لا الأصنامُ

تعريفُ جُزأي الجملة في قوله: ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ يفيدُ قصرَ مستحقِّ اتِّقاء العبادِ إيّاه على الله تعالى، وأنَّ غيره لا يستحِقُّ أن يُتَّقى ويُتجنَّب غضبُهُ، فإمّا أن يكونَ القصرُ قصرًا إضافيًّا للرَّدِّ على المشركين الَّذين يخشَونَ غضبَ الأصنام، ويطلبونَ رضاها.

لا تقوى كاملةً إلّا لله تعالى

أو يكونَ قصرًا ادِّعائيًّا لتخصيصِه تعالى بالتَّقوى الكاملة، وإلّا فإنَّ بعضَ التَّقوى مأمورٌ بها كتقوى حقوقِ ذوي الأرحام في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَۚ﴾ [النساء: 1] وقد يُقال: إنَّ ما ورَدَ الأمرُ به من التَّقوى في الشَّريعة راجعٌ إلى تقوى الله، وهذا من مُتمِّماتِ القصرِ الادِّعائيِّ[3].

نكتةُ التَّعبيرِ بالأهلِ:

مـن شـأنِ الله أن يُتَّقى ويَغفرَ لعبادِه

أهلُ الشَّيء: مستحقُّه، وأصلُه: أنَّه ملازمُ الشَّيء وخاصَّتُه وقرابتُه وزوجُه، ومعنى ﴿أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾: أنَّه حقيقٌ بأن

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 334.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 80.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 334.

يُتَّقى ويُخشَى منه، وأنَّ المغفرةَ من خصائصه، وأنَّه حقيقٌ بأن يَغفر؛ لفَرْطِ رحمته، وسَعَةِ كرمِه وإحسانه. وهذا تعريضٌ بالتَّحريض للمشركين أن يُقلِعوا عن كُفرِهم، بأنَّ اللّه يغفرُ لهم ما أسلَفوه، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: 38]، وبالتَّحريض للعُصاة أن يُقلِعوا عن الذُّنوب، قال تعالى: ﴿۞قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾ [الزمر: 53][1].

سرُّ تكرارِ كلمةِ الأهلِ:

اتِّصافُه تعالى بالمغفرة اتِّصافٌ مؤكَّدٌ

أُعيدَت كلمةُ (أهل) في الجملة المعطوفة ﴿وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ دون أن يُقال: (والمغفرة)؛ للإشارة إلى اختلافِ المعنى بينَ أهل الأوَّل وأهل الثّاني، على طريقةِ إعادةِ فعل (أطيعوا) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: 59][2]، ولتأكيد استحقاقه تعالى للاتِّصافِ بالمغفرة.

غرضُ الإضافةِ في ﴿أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾:

الإضافةُ في قوله ﷻ: ﴿أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ لاميَّة، وفيها تنبيهٌ على تأكيدِ استحقاقِه تعالى الاتِّصافَ بهاتين الصِّفتين الجليلتين.

دلالةُ تعريفِ ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ و﴿ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾:

اللّه تعالى حقيقٌ بالتَّقوى الكاملة والمغفرة الكاملة

تعريفُ ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ و﴿ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ في قول الحقِّ ﷻ: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ للجنس المحمول على الفرد الكامل، أي: هو الحقيقُ بالتَّقوى الكاملةِ والمغفرةِ الكاملة، وفي ذلك ما لا يَخفى من تعظيمِ شأنِه ﷻ.

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 718، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 334.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 335.

سرُّ تقديمِ ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ على ﴿ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾:

تقديمُ ﴿ٱلتَّقۡوَىٰ﴾ على ﴿ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ في قولِ الحقِّ ﷻ: ﴿أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ من باب تقديم التَّخليةِ على التَّحلية، ومن باب تقديمِ السَّببِ على المسبَّب.

سِرُّ عَودِ آخِرِ السّورةِ على أوَّلِها:

قوله تعالى: ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾ معناه: هو وحدَهُ أهلٌ لأن يتَّقيَه عبادُه ويَحذروا غَضبَهُ بكلِّ ما تصلُ قُدرتُهم إليه؛ لِما له من الجلال والعظمة، وأهلٌ لأنْ يُطلَبَ غُفرانُهُ للذُّنوب لا سيَّما إذا اتَّقاهُ المُذنب؛ لأنَّ له الجمالَ واللُّطفَ، وهو قادرٌ، ولا قُدرةَ لغيره، ولا ينفعهُ شيءٌ، ولا يضرُّهُ شيء، فهو الحقيقُ بأن يجعل موضعَ الإنذار الَّذي أمرَ به أوَّلَ السّورة البشارةَ، ويوفِّقَ عِبادَهُ لتكبيرِهِ وهجرانِ الرُّجز، فقد رجعَ آخِرَ السّورة على أوَّلها بضَمِّ البِشارة إلى النِّذارة، وصارَ كأنَّه قيل: أنذرِ العاصيَ؛ فإنَّه أهلٌ؛ لأن يرجعَ إلى طاعاته، فيكون سبحانه أهلًا لأنْ يعودَ عليه بسترِ زلّاته[1].

مَن حازَ أوصافَ الجمال واللُّطف والـقـدرةِ كلَّها حقيقٌ بأن يُطاع ولا يُخالَف

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكتاب والصَّحيفة والقِرطاس:

الصَّحيفة: المبسوطُ من الشَّيء، ومن ذلك الصَّحيفةُ التي يُكتب فيها[2]. والقِرطاس: ما يُكتَبُ فيه[3]، والكتابُ: ما يُكتَبُ فيه، وقد سُمّيَ بذلك باعتبار ضَمِّ الحروفِ فيه بعضِها إلى بعض[4]. فمعاني هذه الكلمات متقاربة، وإنَّما أوثرَت الصُّحف هنا؛ لدلالتها على البسط الملائم للنَّشر والفتح الَّذي طلبوه؛ فهُم طلبوا أن تكونَ الصُّحفُ مفتوحةً، يَظهَرُ ما كُتبَ فيها.

طلبُ المشركين كتابًا يُظهر ما كُتبَ فيه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 21/ 80 - 81.
(2) الراغب، المفردات: (صحف).
(3) الراغب، المفردات: (قرطس).
(4) الراغب، المفردات: (كتب).

الرُّعْب والخوف والفَزَع:

الرُّعب: هو الخوفُ الَّذي يملأُ الصَّدرَ والقلبَ، أو هو أشدُّ الخوفِ[1]. والخوفُ: توقُّع مكروهٍ عن أمارةٍ مظنونةٍ أو معلومةٍ[2]. والفَزَعُ: انقباضٌ يَعتري الإنسانَ من الشَّيء المُخيف، أو هو الخوفُ الشَّديدُ، قال تعالى: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ [الأنبياء: 103][3].

إنكارُ المشركين ما هو حقيقةٌ ثابتة

وإيثار التَّعبير بالخوف هنا؛ للتَّنبيهِ على أنَّهم لا يَخشَون الآخرة، ولا يُؤمنون بها، مع وجودِ الدَّلائل الدّالَّةِ على أنَّها حقيقةٌ ثابتةٌ معلومة.

(1) الزبيدي، تاج العروس: (رعب).
(2) الراغب، المفردات: (خوف).
(3) معجم الفروق اللغوية، ص: 404.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والستون،
سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 64 ، 806 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-38-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 64 : المجلد الرابع والستون، سورة المَعَارج من الآية 15 إلى سورة المُدَّثِّر الآية 56.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-38-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6817852 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"